﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾ [الأنبياء: 70]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

كـادوا لإبراهيم بعدما أوجعهم في أصنامهم

لَمّا قدَّمَ ما نبَّه على شدَّةِ الاهتمامِ به لإفهامه أنَّه حكمَ بسلامتِه من كيدِهم عند همِّهم به، فكيف بما بعده؟ قال عاطفًا على ما تقديرُه: (فألقوه فيها ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا﴾ بإضرارِه بالنّار) ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾[1]، وهذه الآيةُ تلخيصٌ شديدٌ لمقطع القصة، ثم هي ترجعُ إلى قوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧﴾؛ رجوعًا يُفْهِمُ أن قومه فهموا هذا الكيد واستوعبوه، فقابلوه بكيدٍ آخَرَ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿كَيۡدٗا﴾: (كيد) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على معالجةٍ لشيءٍ بشدَّة، قال أهلُ اللُّغة: الكَيْدُ: المعالجةُ، قالوا: وكلُّ شيءٍ تعالجُه فأنت تكيدُه، هذا هو الأصلُ في الباب، ثمَّ يُسمُّونَ المَكْرَ كَيْدًا، قال اللهُ تعالى: ﴿أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ﴾ [الطُّور: 42][2]، وقوله تعالى: ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا﴾؛ أيْ: مَكْرًا عظيمًا بالإضرار به[3].

2) ﴿ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾: (خسر) أصلٌ واحدٌ يدلُّ على النَّقص، فمن ذلك: الخُسْر والخُسران، ويُقال: خَسَرْتُ الميزانَ وأخْسَرتُه، إذا نَقَصْتُه، والخُسْرُ والخُسْران: انتقاصُ رأسِ المال، ويُنسَب ذلك إلى الإنسان، فيُقال: خَسِرَ فلان، وإلى الفعل فيُقال: خَسِرتْ تجارته، قال تعالى: ﴿تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ١٢﴾ [النّازعات: 12][4]، وقوله تعالى:

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 446.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كيد).
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/ 715، والشَّوكاني، فتح القدير: 3/ 567.
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المُفردات: (خسر).

﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾؛ أيْ: أخْسَرَ من كلِّ خاسر، بأن ردَدْنا مكرَهم عليهم، فجعلْنا لهم عاقبةَ السُّوء، كما جعلْنا لإبراهيمَ عاقبةَ الخير[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أرادَ عَبَدَةُ الأصنامِ المَكرَ بإبراهيمَ ﷺ بإضرارِه بالنّار، فجعلَهمُ اللّهُ بما له من الجلالِ همُ الأخْسرين، وذلك أنَّهم أرادوا بما صنعوا له من العذاب أن يكون أسْفلَ منهم، فجعلَهم اللّهُ همُ الأسفلَ بفضيحتِهم في الدُّنيا الموجبةِ للعذابِ في الأُخْرى، فكانَ ذلك بنفسِ فعلهم الَّذي كادوه به[2].

اللـه حـارسُ أوليـاءَه من كيد الكائدين

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواو في صَدْرِ الآية:

في قوله تعالى: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾ جاءت الواوُ عاطفةً على ما تقدَّم: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ﴾ فقد كادوا له بتحريقه في النّار وجعلِه أمام أعْيُنِ النّاس، فهذه إرادتهم الَّتي أبْطلَها اللّه، وانقلب كيدُهم عليهم بأمرِ اللّه ونُصرته لنبيِّه[3]، فهذه الواو رشَّحَت معنى الكيد على الأمر بالتّحريق وبالنّصرة، وهذا فيه معنى التّعليل للتّحريق؛ فهو ليس مجرد إحراق؛ وإنّما هو إحراق شديد؛ لأنَّ دافعه الكيدُ بإبراهيم ولإبراهيم؛ فتكون جملةُ القول ومقوله: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ اعتراضًا بين الكلاميْن.

عـطـفـتِ الـــواوُ إرادةَ كـيـدِهـم عـــلى فـعـلِـهـم بتحريقِ إبراهيم

نكتةُ التعبير بالإرادة وصيغتها:

الإرادةُ تسبقُ العَزْمَ على القيام بالفعل، فقوله: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾، وقد تحقَّقت فيهم تلك الإرادة، وثبتت كأنّها الأصل فيهم،

مـن شـأن أهـل الباطل المبالغة في الانتقام

(1) الشَّوكاني، فتح القدير: 3/ 567.
(2) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 446.
(3) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 446.

ولهذا وردت فعلًا ماضيًا؛ أيْ: هيَّؤوا ودبَّروا له ما يوقعونَه في فخِّ مكرِهم بما صنعوا له من العذاب، وبما يحقّقُ إيذاءه بتحريقه في النّار، دون أن يكون له حيلةٌ يستطيع بها الخلوصَ ممّا صنعوه له، ولذلك جاءت الإرادةُ هنا مُتَّسِقةً مع قولهم: حرِّقوه وانْصُروا آلهتَكم، وهم ضامنون لهذا التَّحريق واثقون من نصرِهمُ الكاذب وهذا كله مُؤسَّس على إدراكهم كيده لأصنامهم.

سرُّ التقديم في ﴿بِهِۦ كَيْدًا﴾:

المبالغةُ في إنزالِ العذابِ بمَن أقامَ الحُجَّةَ عليهم

جاءَ تقديمُ الجارِّ والمجرور ﴿بِهِۦ﴾ على ﴿كَيْدًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾ للمبالغةِ في اهتمامِهم وحرصهم على شخص إبراهيمَ ﷺ في إنزال كيدِهم به، بما دبَّروه له من التَّحريق بالنّار؛ لأنَّ القضية عندهم آلت إلى أن تكون قضية أشخاص لا قضية عقيدة؛ لينحرفوا عن القضية الأُمّ؛ لأنَّهم عالِمون بخسارتهم فيها، لكنَّها العصبية المقيتة التي تدفعهم إلى البقاء على فساد اعتقادهم، وذلك من سمات أهل الباطل.

نكتةُ تنكير ﴿كَيْدًا﴾:

المكرُ العظيمُ بالإضرار بالنّار

تنكيرُ قوله: ﴿كَيْدًا﴾ للدَّلالة على المكر العظيم الَّذي أرادوا إيقاعه بإبراهيم[1]، وكان هذا الكيدُ أشدَّ أنواع العذاب وأفتكَها في الجسد، وهو التَّحريقُ بالنّار الَّتي تتلفُ الجَسد ولا تُبقي فيه ولا تَذَرُ، تعبيرًا عن شدَّةِ غَيْظِهم من إبراهيمَ ﷺ وقسوة قلوبهم الَّتي تأجَّجتْ حقدًا على مَنْ حطَّمَ آلهتَهم وأذلَّها وأذلَّهم.

دلالةُ الفاء في ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ﴾:

التَّعقيبُ المباشر لما أرادوه من الكيدِ بإبراهيمَ وتحريقه

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ﴾ للتَّعقيبِ المباشر لما أرادوه من كيدِهم بإبراهيمَ ﷺ بتحريقه بالنّار؛ فقد جاء الحُكمُ الإلهيّ

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/ 715.

بسلامته من كيدِهم عند همِّهم به، فكيف كذلك بما بعده[1] ؟ والفاء أفادت أن هذا الجَعْل قد كان عقب تحقُّق الإرادة منهم وفيهم، فالفاءُ إفصاحٌ إلى حدٍّ ما بما أفْهَمَه نظمُ آية: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ اعتراضًا على ما سبَق بيانه، وكأن إفهام المعنى بالاعتراض لمتلقّين، وإفهامه بالفاء لآخرين.

سرُّ إيثار (جَعلْنا) مادَّةً وصيغةً:

أبْطَلَ اللهُ كيْدَ الظّالمين بإبراهيمَ بكَيْدِه وجَعلَهمُ الأخْسرين

آثرَ النَّظمُ الكريم الفعل (جَعَلْنا) في قولِه تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾؛ لأنَّ الجَعْلَ فيه معنَى التَّصيير والتَّهيئة والتَّبعيَّة، وكونه محصَّلًا من آخر[2]، وأولئك أرادوا الكَيْدَ بإبراهيمَ ﷺ بقولهم: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ﴾، وأرادوا بذلك إظهارَ خسارته على أعْيُن النّاس، فجعلَ اللهُ من كيْدِهم بإبراهيمَ وإعلانِ خسارته خسارتَهم هم لا إبراهيمَ، وهذا الجعلُ بصيغةِ الماضي دليلُ التَّحقُّقِ التّامّ لخسارتهم، وخاصَّةً أنَّه أُسْنِدَ لـ (نا) الدّالَّة على الفاعلين وهي نون العَظمة لله وحده.

نكتةُ إيثار لفظ ﴿ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ على ﴿ٱلْأَسْفَلِينَ﴾:

تـجـارةُ صُـنّـاع الآلـهـةِ المزيّفة خـاسـرة، وهـم في الدُّنيا والآخرة أسفل سافلين

جاءت خاتمةُ الآيات في قصَّة إبراهيمَ ﷺ مع قومه هنا في سورة الأنبياء بقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾؛ بينما خُتِمتْ آياتُها في سورة الصّافّات بقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الصافات: 98]؛ لأنَّ ما هنا تقدَّمه أنَّ إبراهيم كادَهم، وأنَّهم كادوه، وأنَّه غَلَبَهم في الكَيْد، فخسرت تجارتُهم حيث كسَّر أصنامَهم، ولم يبلغوا من إحراقه مُرادَهم، فناسبَ ذِكْرُ ﴿ٱلْأَخْسَرِينَ﴾، وما في الصّافّات: تقدّمَه قولُه تعالى: ﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾ [الصافات: 97]؛ فأجَّجُوا نارًا عظيمة، وبَنَوْا بنيانًا عظيمًا، ورفعوا إبراهيمَ إليه، ورموه منه إلى

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 446.
(2) الرّاغب، المُفردات: (جعل).

أسفل، فرفعَه اللّهُ إليه، وجعلَهم في الدُّنيا من الأسْفلين، وردَّهم في العُقْبَى أسفلَ سافلين، فناسبَ ذِكْرُ ﴿ٱلْأَسْفَلِينَ ۝٩٨﴾ [الصافات: 98][1].

فائدة التعبير بلفظ ﴿ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ صيغة دون (الخاسرين):

الخُسْرُ والخُسْران: انتقاصُ رأسِ المال، ويُنسب ذلك إلى الإنسان، فيُقال: خَسِرَ فلان، والخاسرُ: اسْمُ فاعلٍ لمَنْ خسرَ مالَه أوْ جاهَه وهو الأكثر، أو خَسِرَ صحَّته وسلامتَه أو عَقْلَه وإيمانَه وثوابه، قال اللّهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١٥﴾ [الزُّمر: 15]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝١٢١﴾ [البقرة: 121]، وكلُّ خُسرانٍ ذَكَرَه اللّهُ تعالى في القرآن فهو على هذا المعنَى الأخير دون الخُسرانِ المتعلِّقِ بالمقتَنياتِ الدُّنيويَّةِ والتّجارات البشريَّة، وأمّا ﴿ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ فهي صيغةُ مفاضلةٍ على وجْه الذَّمّ؛ أي: اسْمُ تفضيلٍ مسلوب المفاضلة؛ أيْ: أخْسَرُ من كلِّ خاسر[2].

الخاسرون لفظٌ عامٌّ، والأخسرون خاصٌّ بمَن هو أخْسَرُ من غيرِه

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإرادة والمشيئة:

الإرادةُ: العَزْمُ على الفعل أو التَّرْكِ بعد تصوُّرِ الغاية المترتِّبةِ عليه من خَيْر، أو نَفْع، أو لذَّةٍ ونحو ذلك، والإرادةُ تكون لما يتراخَى وقتُه ولما لا يتراخَى، والإرادةُ متى حَصَلتْ صدرَ الفعلُ لا محالة، وأمّا المشيئةُ فتكون لما لم يتراخَ وقتُه كما تقول: فعلتُ كذا شاء زيدٌ أو أبَى، فيُقابل بها إيّاه، وذلك إنَّما يكون عند محاولةِ الفعل، وكذلك مشيئتُه إنَّما تكون بدلًا من ذلك في حالِه، والمشيئةُ ابتداءُ العزم على الفعل، فتكونُ الإرادةُ أخصَّ منها، فنسبةُ المشيئةِ إلى الإرادةِ نسبةُ الضَّعفِ إلى القوَّة، والظَّنِّ إلى الجَزْم، فإنَّكَ ربَّما شئتَ شيئًا ولا تريدُه لمانعٍ عقليٍّ أو شرعيٍّ، وقد يُطلَقُ كلٌّ منهما على الآخر توسُّعًا[3].

المشيئةُ ابتداءُ العَزْمِ على الفعل، والإرادةُ حصولُه وهي أخصُّ، وقد يتعاوران توسُّعًا

(1) زكريّا الأنصاريّ، فتح الرَّحمن: 1/ 376 - 377.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات: (خسر).
(3) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 35، والكفوي، الكلِّيّات: 1/ 105، والجرجاني، التَّعريفات، ص: 230.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»